الغبطة

الطبعة: الأولى

١٤٤٦ - ٢٠٢٤م

الغبطة

✍ تأليف:

أبي الحسن موسى بن ثابت بن محمد المطري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعدُ:

أخي القارئ الكريم اطلعت علىٰ كتاب شيخنا علي بن أحمد الرازحي حفظه الله كتاب: "الحسد".

فجاء في خاطري أن أكتب في "الغبطة"، والفرق بينها وبين الحسد، فاستعنت بالله وتوكلت عليه راجيًا منه الإعانة والتوفيق.

كما لا أنسىٰ أن أقول أن هذا الباب المراجع فيه شبه معدومة ولا أعلم أحدًا كتب في ذلك البتة.

والأدلة فيه أيضًا قليلة جدًا فستكون الرسالة صغيرة الحجم إلىٰ حد كبير والعبرة بالفائدة، والله المستعان.

كتبه:

موسى بن ثابت بن محمد المطري

١٦/ ٧/ ١٤٤٦هـ جدة

منهجي في البحث

بعد اختياري لهذا الموضوع أخذت أتتبع الآثار الواردة فيه، وأرتبها ترتيبًا يليق بموضوع المادة فبدأت بـ:

١- ذكر التعاريف.

٢- الفرق بين الغبطة والحسد.

٣- جعلت بابا مختصرا في الحسد لتتمة الفائدة.

٤- الآثار.

٥- شرح حديث لا حسد إلا في اثنتين .

ملاحظة: قد تجد عدة تعاريف للغبطة وذلك للفائدة ولإن في بعض التعاريف زيادة فائدة.

قال الجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الغبطة: أن تتمنَّىٰ مثل حال المَغْبوطِ من غير أن تريد زوالها عنه، وليس بحسدٍ.

تقول منه: غَبَطْتُهُ بما نال أغْبِطُهُ غَبْطـًا وغِبْطَةً، فاغتبط هو.

كقولك: منعته فامتنع، وحبسته فاحتبس.

قال الشاعر:

وبينما المرءُ في الأحياءِ مُغْتَبِطٌ   إذا هو الرَمْسُ تَعْفوهُ الأعاصيرُ

أي: هو مُغْتبطٌ، أنشدنيه أبو سعيد بكسر الباء، أي مَغْبوطٌ. قال: والاسم

الغِبْطَةُ، وهو حسنُ الحالِ. ومنه قولهم: اللهمَّ غَبْطًا لا هَبْطًا، أي نسألك الغِبْطَةَ، ونعوذ بك من أن نهبِطَ عن حالنا[(١)].

وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: غبط: الغِبْطَةُ: حُسْنُ الحالِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «اللَّهُمَّ غَبْطًا لَا هَبْطًا»، يَعْنِي: نسأَلُك الغِبْطةَ ونَعوذُ بِكَ أَن نَهْبِطَ عَنْ حالِنا.

التَّهْذِيبُ: مَعْنَى قَوْلِهِمْ غَبْطًا لَا هَبْطًا أَنَّا نسأَلُك نِعْمة نُغْبَطُ بها، وأَن لا تُهْبِطَنا مِنَ الحالةِ الحسنةِ إِلى السيئةِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ اللَّهُمَّ ارْتِفاعًا لَا اتِّضاعًا، وَزِيَادَةً مِنْ فَضْلِكَ لَا حَوْراً ونقْصًا، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنزلنا مَنْزِلة نُغْبَطُ عَلَيْهَا وجَنِّبْنا مَنازِلَ الهُبوطِ والضَّعةِ.

والغِبْطةُ: المَسَرَّةُ، وَقَدْ أَغْبَطَ. وغَبَطَ الرجلَ يَغْبِطُه غَبْطًا وغِبْطةً: حسَدَه، وَقِيلَ: الحسَدُ أَن تَتَمنَّى نِعْمته عَلَى أَن تَتَحَوَّلَ عَنْهُ، والغِبْطةُ أَن تَتَمنَّى مِثْلَ حَالِ المَغْبوطِ مِنْ غَيْرِ أَن تُريد زَوَالَهَا وَلَا أَن تَتَحَوَّلَ عَنْهُ وَلَيْسَ بِحَسَدٍ، وَذَكَرَ الأَزهري فِي تَرْجَمَةِ حَسَدَ قَالَ: الغَبْطُ ضرْب مِنَ الحسَد وَهُوَ أَخفّ مِنْهُ[(٢)].

وقال ابن السكيت رَحِمَهُ اللَّهُ: غَبَطْتُ الرَّجُلَ أَغْبِطُه غَبْطًا إِذا اشتهيْتَ أَن يَكُونَ لَكَ مثلُ مَا لَه وأَن لَا يَزول عَنْهُ مَا هُوَ فِيهِ، وَالَّذِي أَراد النَّبِيُّ، ﷺ، أَن الغَبْط لَا يضرُّ ضرَر الحسَدِ وأَنَّ مَا يَلْحَقُ الغابِطَ مِنَ الضَّررِ الراجعِ إِلى نُقصان الثَّوَابِ دُونَ الإِحْباط، بِقَدْرِ مَا يَلْحَقُ العِضاه مِنْ خَبْطِ وَرَقِهَا الَّذِي هُوَ دُونَ قَطْعِهَا

---

(١) كتاب: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» (٣-١١٤٦).

(٢) «لسان العرب» (٧-٣٥٩).

وَاسْتِئْصَالِهَا، ولأنه يَعُودُ بَعْدَ الْخَبْطِ ورقُها، فَهُوَ وإِن كَانَ فِيهِ طرَف مِنَ الْحَسَدِ فَهُوَ دُونَهُ فِي الإِثْم، وأَصلُ الحسدِ القَشْر، وأَصل الغَبْطِ الجَسُّ[(١)].

قال الجوهري رَحِمَهُ اللَّهُ: أنشدنيه أبو سعيد: بكسر الباء؛ أي: مغبوط، قال: والاسم الغِبْطَة، وهو حُسن الحال، ومنه قولهم: اللهمَّ غَبْطًا لا هَبْطًا؛ أي: نسألك الغبطةَ، ونعوذُ بك من أن نهبطَ عن حالنا[(٢)].

وقال ابن درستويه رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما قوله: غبطت الرجل أغبطه، فمعناه تمنيت مثل حاله أو ماله أو غير ذلك من غير أن تريد زوالها عنه، ومنه الغبطة والاغتباط، وهو الفرح بالنعمة والخير، والرضا بهما[(٣)].

وقال الفاكهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: واغْتبَطَتْ : هو بفتح التاء والباء؛ ليبين أنه ليس مبنيًا للمفعول؛ فإن الغبطة -علىٰ ما قاله أهل اللغة-: أن يتمنىٰ مثلَ حال المغبوط من غير أن يريدَ زوالَها عنه، وليسَ بحسد، تقول منه: غَبَطْتُه بما نال، أَغْبِطُه غَبْطا، وغِبْطَةً، فاغتبطَ هو؛ كقولك: منعتُه فامتنعَ، وحبستُه فاحتبسَ، قال الشاعر:

وَبَيْنَمَـــا المَـــرْءُ في الأَحْيَـــاءِ مُغْتَـــبِطٌ   إذْا هُـــوَ الـــرَّمْسُ تَعْفُـــوهُ الأَعَاصِـــيرُ

---

(١) "لسان العرب" (٧-٣٥٩).

(٢) انظر: "الصحاح" للجوهري (٣/ ١١٤٦)، (مادة: غبط).

(٣) كتاب: "تصحيح الفصيح وشرحه" (٤٦).

أي: هو مغتبط[١].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَعْنَىٰ الْغِبْطَةِ تَمَنِّي الْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ لَهُ نَظِيرُ مَا لِلْآخَرِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزُولَ عَنْهُ[٢].

والفرق بين الغبطة والحسد: أن الغابط يود أن يكون له مثل نعمة المغبوط من غير أن تنقص من نعمته شيء وهو الذي يبيحه الشرع المطهر، والحاسد الذي يود أن تزول نعمة المحسود ومن غير أن يناله منها شيء هو الذي يحرمه الشرع[٣].

(١) كتاب: "رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام" (٤-٧٠٤).

(٢) "فتح الباري" (١-١٦٦).

(٣) "المفاتيح" (١/ ٣٠٢) و"شرح المشكاة" (٢/ ٦٢٢)، و"الكواكب الدراري" (٢/ ٤١).

الفرق بين الغبطة والحسد

قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والغبطة أن يتمنىٰ مثل حال المغبوط من غير أن يريد زوالها عنه، وليس بحسد، والحسد: أن يتمنىٰ زوال ما فيه[(١)].

قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الغِبْطَة: هو أن تشتهي لنفسك مثل ما يكون لغيرك من نعمة وثروة، من غير أن يزول عنه ما هو فيه، والحسد: أن تتمنىٰ ما لغيرك بزوال نعمته[(٢)].

قال الكفويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الغبطة: تمنّي الإنسان أن يكون له من الّذي لغيره من غير إرادة إذهاب ما لغيره، أمّا الحسد فهو إرادة زوال نعمة الغير، ثمّ إنّ الغبطة صفة المؤمن، والحسد صفة المنافق[(٣)].

وقال الفيومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْغِبْطَةُ حُسْنُ الْحَالِ وَهِيَ اسْمٌ مِنْ غَبَطْتُهُ غَبْطًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ إذَا تَمَنَّيْتَ مِثْلَ مَا نَالَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُرِيدَ زَوَالَهُ عَنْهُ لِمَا أَعْجَبَكَ مِنْهُ وَعَظُمَ عِنْدَكَ.

وَفِي حَدِيثٍ: «أَقُومُ مَقَامًا يَغْبِطُنِي فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ» وَهَذَا جَائِزٌ فَإِنَّهُ

---

(١) "كتاب العلم" (٢-٧٦).

(٢) "جامع الأصول" (٦-٥٥١).

(٣) "الكليات" (٦٧٢) ، وانظر: "المفردات للراغب" (١١٧).

لَيْسَ بِحَسَدٍ فَإِنْ تَمَنَّيْتَ زَوَالَهُ فَهُوَ الْحَسَدُ»[١].

وقال الرَّازيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا أنعَم اللهُ علىٰ أخيك بنِعمةٍ؛ فإن أردتَ زوالَها فهذا هو الحَسَدُ، وإن اشتَهَيتَ لنفسِك مثلَها، فهذا هو الغِبطةُ[٢].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: فأمَّا الغِبطة فهي أن تتمنىٰ مثل حال المغبوط، من غير أن تريد زوالها عنه، تقول منه: غَبَطته بما نال غَبْطًا وغِبْطَةً، وقد يوضع الحسد موضع الغبطة؛ لتقاربهما، كما قال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين...» متّفقٌ عليه. أي: لا غبطة أعظمُ، ولا أحقُّ من الغبطة بهاتين الخصلتين[٣].

قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: والحَسدُ حَسَدَانِ:

١- حَسَدٌ مَذمُومٌ: وهو تَمَنِّي زَوَالِ النَّعمَةِ عن أَخِيكَ، سَواءٌ صَارَت لك أو لم تَصِرْ لك، تَمَنِّي زَوَالِ النِّعمَةِ عنه هَذَا حَسَدٌ وظُلمٌ ومُنكَرٌ، وإذا فَعلتَ مع ذَلكَ أَسبَابَ الإِزَالةِ بِإِتلَافِ الْمَالِ أو بِفِعلِ ما يُنكِّدُه عليه ويُزِيلُهُ منه كَانَ هَذَا ظُلْمًا مع حِسدٍ.

٢ - أَمَّا حَسَدُ الغِبطَةِ: فهو تَمَنِّي ومَحبَّةِ أن يَكُونَ لك مِثلُ ما له مِنْ الخَيرِ، مِنْ دُونِ أن تَتَمَنَّىٰ زَوَالَهُ عنه، فأنت تُحِبُّ أن تكُونَ مِثلَهُ، تَقرَأَ القُرْآنَ تُنفِقُ المَالَ تُحبُّ أنْ تَكُونَ مِثلَهُ، فهَذِه الغِبطَةُ في هَذَا الخَيرِ العَظِيمِ الذي تُحِبُّ أن تَكُونَ كِمِثلِ أَخِيكَ فيه[٤].

---

(١) كتاب: "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" (٢-٤٤٢).

(٢)" مفاتيح الغيب" (٣/ ٦٤٦).

(٣) "المفهم" (٦/ ٥٣٢).

(٤) "شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري" - ابن باز (٣٣٦).

تحريم الحسد

قال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء:٥٤].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق:١-٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة:١٠٩].

وقال ﷺ: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانًا»(١).

وقال ﷺ: «إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب»(٢).

وقال ﷺ: «دب إليكم داء الأمم: الحسد والبغضاء، وهي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٤٨٤٩)، ومسلم (٢٥٦٣).

(٢) رواه أبو داود (٤٩٠٣)، وابن ماجه (٤٢١٠).

(٣) رواه الترمذي (٢٥١٠)، وأحمد (١٤٣٠).

الحسد لغة: حسده يَحْسِدُه ويَحْسُدُه، حَسَداً وحُسوداً وحَسادَةً وحَسَّدَه، تمنىٰ أن تتحول إليه نعمته وفضيلته، أو يسلبهما[١].

الحسد اصطلاحًا: وقال الجرجانيّ: الحسد تمنّي زوال نعمة المحسود إلىٰ الحاسد[٢].

وعرفه الطاهر بن عاشور فقال: الحسد: إحساس نفساني مركب من استحسان نعمة في الغير، مع تمني زوالها عنه؛ لأجل غيرة علىٰ اختصاص الغير بتلك الحالة، أو علىٰ مشاركته الحاسد[٣].

(١) "القاموس المحيط" للفيروز آبادي (ص٢٧٧).

(٢) "التعريفات" (ص٨٧).

(٣) "التحرير والتنوير" (٣٠/ ٦٢٩).

الفرق بين الحسد والمنافسة

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: للحسد حد وهو المنافسة في طلب الكمال والأنفة أن يتقدم عليه نظيره، فمتىٰ تعدىٰ ذلك صار بغيا وظلما يتمنىٰ معه زوال النعمة عن المحسود ويحرص علىٰ إيذائه(١).

وقال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمنافسة في اللغة مشتقة من النفاسة والذي يدل علىٰ إباحة المنافسة قوله تعالىٰ: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المطففين:٢٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [الحديد:٢١].

وإنما المسابقة عند خوف الفوت؛ وهو كالعبدين يتسابقان إلىٰ خدمة مولاهما، إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظىٰ عند مولاه بمنزلة لا يحظىٰ هو بها(٢).

عن أبي العباس أحمد بن يحيىٰ قال: الحسد: أن تتمنىٰ مال أخيك وتحب فقره وهو محظور، والمنافسة: أن تتمنىٰ مثل ماله من غير أن يفتقر وهو مباح(٣).

وقد تنافس الصحابة في فعل الخير: فهذا عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: أمرنا رسول الله ﷺ يوماً أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا

(١) "الفوائد" (ص١٤٠).

(٢) "إحياء علوم الدين" (٣/ ١٩٠).

(٣) كتاب: "أعلام الحديث شرح صحيح البخاري" (١-١٩٥).

بكر إن سبقته يوما، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، قال: وأتىٰ أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسابقك إلىٰ شيء أبدا[1].

وسبب المنافسة كما قال الغزالي: إرادة مساواته واللحوق به في النعمة، وليس فيها كراهة النعمة، وكان تحت هذه النعمة أمران؛ أحدهما: راحة المنعم عليه، والآخر: ظهور نقصانه عن غيره وتخلفه عنه، وهو يكره أحد الوجهين، وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له. ولا حرج علىٰ من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات[2].

---

(١) رواه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥). وقال: حسن صحيح، وقال الحاكم (١/ ٥٧٤): صحيح علىٰ شرط مسلم، وحسنه الألباني في "تخريج المشكاة" (٦٠٣٠).

(٢) "إحياء علوم الدين" (٣/ ١٩١).

الآثار

عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ؛ أَنَّ أَبَا عَمْرِو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ، وَهُوَ غَائِبٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكِيلُهُ بِشَعِيرٍ، فَسَخِطَتْهُ، فقَالَ: وَاللهِ! مالك عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ، فَجَاءَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: «لَيْسَ لَكِ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ». فَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَّ فِي بَيْتِ أُمِّ شَرِيكٍ. ثُمَّ قَالَ: «تِلْكِ امْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِي. اعْتَدِّي عَنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ. فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَىٰ. تَضَعِينَ ثِيَابَكِ. فَإِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِي».

قَالَت: فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ لَهُ؛ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي. فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ. وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ. انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ» فَكَرِهْتُهُ.

ثُمَّ قَالَ: «انْكِحِي أُسَامَةَ» فَنَكَحْتُهُ. فَجَعَلَ اللهُ فِيهِ خيرا، واغتبطت.

الطلاق، باب: المطلقة ثلاثًا لا نفقة لها، وأبو داود (٢٢٨٤)، كتاب: الطلاق، باب: في نفقة المبتوتة، والنسائي (٣٢٤٥)، كتاب: النكاح، باب: إذا استشارت المرأة رجلًا فيمن يخطبها، هل يخبرها بما يعلم؟

قلت: لقد سبق تعريف الغبطة وأنها في الغالب لا تصدر إلا ممن يتسمون بالصلاح لكن ومع هذا لابد من ذكر الله والتبريك عند رؤية الأشياء التي تُعجب فهذا الأحوط والأبعد عن الشبهة وعن الإصابة بالعين والله المستعان.

وعن إسماعيل بن أبي خالد قال مرة: «شهدت فتح القادسية، في ثلاثة آلاف

من قومي؛ فما منهم من أحد: إلا خف في الفتنة غيري، وما منهم أحد: إلا غبطني»[١].

وقد ذُكر في ترجمة عبد العزيز الحوطي أنه كان رجلًا قوي البنية ضخم الجسم، فكان يتكسب من حمل الأشياء الثقيلة علىٰ ظهره إلا أنه خرج له ما يشبه الدمل فيما بين كتفيه منعه من الحمل فاعتقد أن بعض الناس قد أصابه بالعين فكان يقول: «عسىٰ من غبطني علىٰ شيل التسعين يشيل الميه» أي: أرجو من أصابتني عينه لكوني أستطيع أن أحمل تسعين وزنة (١٣٠) كيلًا أن يقويه الله حتىٰ يستطيع أن يحمل مائة وزنة: يريد بذلك أن كون المرء حمَّالًا ما أمر لا ينبغي أن يغبط عليه.

وبعد ذلك اشتغل بحفر القبور والتعيش بذلك وتوفي عام (١٣٢٦هـ) وخلفه ابنه علي في مهنة حفر القبور وتغسيل الموتىٰ حتىٰ مات عام (١٣٨٤هـ)، وهو طويل الجسم إلا أنه أعرج قليلًا[٢].

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ الرِّجَالَ يَجْتَمِعُونَ إِلَىٰ أَحَدٍ غَبِطْتُهُ، فَلَمَّا ابْتُلِيتُ بِهَا وَدِدْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْهُمْ كَفَافًا لَا عَلَيَّ، وَلَا لِي»[٣].

قال الفضيل ابْنَ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْغِبْطَةُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْحَسَدُ مِنَ النِّفَاقِ،

---

(١) "حلية الأولياء" (٤/ ١٦٣).

(٢) كتاب: "معجم أسر بريدة" (٤-٧١٥).

(٣) كتاب: "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" - ط السعادة (٧-٣٦).

وَالْمُؤْمِنُ يَغْبِطُ وَلَا يَحْسِدُ ، وَالْمُنَافِقُ يَحْسِدُ وَلَا يَغْبِطَ، وَالْمُؤْمِنُ يَسْتُرُ وَيَعِظُ وَيَنْصَحُ وَالْفَاجِرُ يَهْتِكُ وَيُعَيِّرُ وَيُفْشِي».

كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - ط السعادة(٨_٩٥).

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ الرِّجَالَ يَجْتَمِعُونَ إِلَىٰ أَحَدٍ غَبِطْتُهُ، فَلَمَّا ابْتُلِيتُ بِهَا وَدِدْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْهُمْ كَفَافًا لَا عَلَيَّ ، وَلَا لِي»[١].

عن مُحَمَّدُ بْنُ هَانِئٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي حَازِمٍ: مَا شُكْرُ الْعَيْنَيْنِ؟ فَقَالَ: إِنْ رَأَيْتَ بِهِمَا خَيْرًا أَعْلَنْتَهُ، وَإِنْ رَأَيْتَ بِهِمَا شَرًّا سَتَرْتَهُ، قَالَ: فَمَا شُكْرُ الْأُذُنَيْنِ؟ قَالَ: إِنْ سَمِعْتَ بِهِمَا خَيْرًا وَعَيْتَهُ، وَإِنْ سَمِعْتَ بِهِمَا شَرًّا دَفَنْتَهُ، قَالَ: مَا شُكْرُ الْيَدَيْنِ؟ قَالَ: لَا تَأْخُذْ بِهِمَا مَا لَيْسَ لَكَ، وَلَا تَمْنَعْ حَقًّا لِلَّهِ هُوَ فِيهِمَا، قَالَ: وَمَا شُكْرُ الْبَطْنِ؟ قَالَ: أَنْ يَكُونَ أَسْفَلُهُ طَعَامًا وَأَعْلَاهُ عِلْمًا، قَالَ: وَمَا شُكْرُ الْفَرْجِ؟ قَالَ: كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ**﴾ [المؤمنون:٥-٦] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿**فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧**﴾ [المؤمنون:٧]، قَالَ: فَمَا شُكْرُ الرِّجْلَيْنِ؟ قَالَ: إِنْ رَأَيْتَ مَيِّتًا غَبَطْتَهُ، اسْتَعْمَلْتَ بِهِمَا عَمَلَهُ، وَإِنْ رَأَيْتَ مَيِّتًا مَقَتَّهُ كَفَفْتَهُمَا عَنْ عَمَلِهِ، وَأَنْتَ شَاكِرٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَمَّا مَنْ يَشْكُرُ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَشْكُرْ بِجَمِيعِ أَعْضَائِهِ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ كِسَاءٌ فَأَخَذَ بِطَرْفِهِ وَلَمْ يَلْبَسْهُ، فَلَمْ يَنْفَعْهُ ذَلِكَ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالثَّلْجِ وَالْمَطَرِ»[٢].

---

(١) كتاب: "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" (٧-٣٦).

(٢) كتاب: "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" - ط السعادة (٣-٢٤٣).

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ، قَالَ: شَهِدْتُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ حِينَ أُصِيبَ بِوَلَدِهِ وَاشْتَدَّ وَجْدُهُ عَلَيْهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ: فَعَظَّمَ اللهُ لَكَ الْأَجْرَ، وَأَلْهَمَكَ الصَّبْرَ، وَرَزَقَنَا وَإِيَّاكَ الشُّكْرَ، إِنَّ أَنْفُسَنَا وَأَهْلِينَا وَأَمْوَالَنَا وَأَوْلَادَنَا مِنْ مَوَاهِبِ اللهِ الْهَنِيئَةِ وَعَوَارِيهِ الْمُسْتَوْدَعَةِ، يُمَتِّعُ بِهَا إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْلُومٍ، وَيَقْبِضُ لِوَقْتٍ مَحْدُودٍ، ثُمَّ افْتَرَضَ عَلَيْنَا الشُّكْرَ إِذَا أَعْطَىٰ، وَالصَّبْرَ إِذَا ابْتَلَىٰ، وَكَانَ ابْنُكَ مِنْ مَوَاهِبِ اللهِ الْهَنِيئَةِ وَعَوَارِيهِ الْمُسْتَوْدَعَةِ، مَتَّعَكَ بِهِ فِي غِبْطَةٍ وَسُرُورٍ، وَقَبَضَهُ مِنْكَ بِأَجْرٍ كَبِيرٍ، الصَّلَاةُ وَالرَّحْمَةُ وَالْهُدَىٰ، إِنْ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ فَلَا تَجْمَعَنَّ عَلَيْكَ يَا مُعَاذُ خَصْلَتَيْنِ، فَيُحْبِطُ لَكَ أَجْرَكَ فَتَنْدَمَ عَلَىٰ مَا فَاتَكَ، فَلَوْ قَدِمْتَ عَلَىٰ ثَوَابِ مُصِيبَتِكَ عَلِمْتَ أَنَّ الْمُصِيبَةَ قَدْ قَصُرَتْ فِي جَنْبِ الثَّوَابِ، فَتُنْجِزَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ مَوْعُودَهُ، وَلْيُذْهِبْ أَسَفَكَ مَا هُوَ نَازِلٌ بِكَ، فَكَأَنْ قَدْ، وَالسَّلَامُ»(١).

عن إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَىٰ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْأَنْطَاكِيِّ، قَالَ: «اعْلَمْ أَنَّ الْجَاهِلَ مَنْ قَلَّ صَبْرُهُ عَلَىٰ عِلَاجِ عَدُوِّهِ لِنَجَاتِهِ بَلْ سَاعَدَ عَدُوَّهُ عَلَىٰ مُجَاهَدَتِهِ، فَذَلِكَ أَهْلٌ أَنْ يَضْحَكَ بِهِ الضَّاحِكُونَ، وَالْكَلَامُ كَثِيرٌ مَوْجُودٌ وَجَوْهَرُهُ عَزِيزٌ مَفْقُودٌ، فَإِنَّ الْعِلْمَ الْكَثِيرَ الَّذِي يُحْتَاجُ مِنْهُ الْقَلِيلُ، وَالْأَعْمَالُ كَثِيرَةٌ وَالصِّدْقُ فِي الْأَعْمَالِ قَلِيلٌ، وَالْأَشْجَارُ كَثِيرَةٌ وَطَيِّبُ ثَمَرَتِهَا

---

(١) كتاب: "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" - ط السعادة (١-٢٤٢).

قَلِيلٌ، وَالْبِشْرُ كَثِيرٌ وَأَهْلُ الْعُقُولِ قَلِيلٌ، فَاسْتَدْرِكْ مَا قَدْ فَاتَ بِمَا بَقِيَ، وَاسْتَصْلِحْ مَا قَدْ فَسَدَ فِيمَا بَقِيَ أَوْ وَضَحَ، وَبَادِرْ فِي مُهْلَتِكَ قَبْلَ الْأَخْذِ بِالْكَظْمِ، وَأَعِدَّ الْجَوَّابَ قَبْلَ الْمَسْأَلَةِ، فَقَدْ وَجَدْتُكَ تُعِدُّ الْجَوَابَاتِ لِحُكَّامِ الدُّنْيَا قَبْلَ مَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاكَ، فَمَاذَا أَعْدَدْتَ مِنَ الْجَوَابَاتِ لِحَكَمِ السَّمَاءِ مِنْ صِدْقِ الْجَوَابَاتِ؟ وَتَقَدَّمْ فِي الِاجْتِهَادِ لِتَدْفَعَ بِهِ خَطَرَ الِاعْتِذَارِ فَإِنَّكَ عَسَيْتَ لَا يُقْبَلُ مِنْكَ الْمَعْذِرَةُ مَعَ إِحَاطَةِ الْحُجَجِ بِكَ وَشَهَادَاتِ الْعِلْمِ عَلَيْكَ وَاعْتِرَافِ الْعُقُولِ بِالِاسْتِهَانَةِ لِمَنْ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ، فَاحْذَرْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُجَافِيَكَ الْأَمْرُ عَلَىٰ عِظَمِ غَفْلَتِكَ فَيَفُوتَكَ إِصْلَاحُ مَا قَدْ فَاتَ مَعَ هُمُومِ الدُّنْيَا مَا هُوَ آتٍ مِنْ قَبْلِ الْإِيَاسِ مِنْكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ وَالْأَخْذِ بِالْكَظْمِ مَعَ زَوَالِ النِّعَمِ حِينَ لَا يُوصَلُ إِلَّا إِلَىٰ النَّدَامَةِ، فَيَا لَهَا مِنْ حَسْرَةٍ إِنْ عَقَلْتَ الْحَسْرَةَ، وَيَا لَهَا مِنْ مَوْعِظَةٍ لَوْ صَادَفَتْ مِنَ الْقُلُوبِ حَيَاةً. وَأَنَا مُوصِيكَ وَنَفْسِي مِنْ بَعْدُ بِوَصِيَّةٍ إِنْ قَبِلْتَ عِشْتَ فِي الدُّنْيَا حَكِيمًا مُؤَدَّبًا فِيهَا سَلِيمًا وَخَرَجْتَ مِنَ الدُّنْيَا فَقِيرًا مُغْتَبِطًا فِيهَا مَغْبُوطًا وَفِي الْآخِرَةِ مُتَوَّجًا مَلِكًا»(١).

قال الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: الذي ينال الإنسانَ بسبب خير يصل إلىٰ غيره علىٰ سبيل التمني أن يكون له مثله فهو غبطة، وإذا كان مع ذلك سعي منه أن يبلغ هو مثل ذلك من الخير أو ما هو فوقه فمنافسة، وكلاهما محمودان، وإن كان مع ذلك تمني زوال ما يصاحبه من غير استحقاق لزواله فحسد، والحسد: هو تمني

(١) كتاب: "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" – ط السعادة (٩-٢٩٥).

زوال نعمة عمن يستحقها، ولربما كان مع ذلك سعي في إزالتها، والحاسد التام: هو الذي يكون حيث النفس تسعىٰ في إزالة نعمة مستحقة من غير أن يكون طالبًا ذلك لنفسه، ولذلك قيل: الحاسد قد يرىٰ زوال نعمتك نعمة عليه[(١)].

قال ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ اللَّهُ: الإنسان مطبوعٌ علىٰ حب الاستئثار علىٰ غيره بالمصالح، بل علىٰ الغبطة والحسد لإخوانه، فلو كُلِّف أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه بطبعه. . لأفضىٰ إلىٰ ألَّا يكمل إيمان أحدٍ إلا نادرًا[(٢)]. اهـ

وعن الفضيل رَحِمَهُ اللَّهُ قال: المؤمن يغبط، ولا يحسد، الغبطة من الإيمان، والحسد من النفاق[(٣)].

عن إبراهيم عن علقمة رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كنت جالسا مع حذيفة وأبي مسعود في بهو المسجد فجاء رجل فسألهما عن فريضة فنظر أحدهما إلىٰ صاحبه وسكتا فقلت إن شئتما أنبأتكما بما كان ابن مسعود يقول فيها فقالا نعم فأخبرنا فأخبرتهما فقالا ظننا أنها كذلك ولكن خفنا أن نكون نسينا وقال حذيفة إن فيكم رجالا يحفظون قول عبد الله فقلت نعم فكأنه غبطنا بذلك[(٤)].

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا غَبَطْنَا أَحَدًا عَلَىٰ تَعْزِيَةٍ مَا غَبَطْنَا أَهْلَ الْيَمَنِ،

---

(١) كتاب: "الذريعة الىٰ مكارم الشريعة" (٢٤٥).

(٢) كتاب: "الفتح المبين بشرح الأربعين" (٣٠٦).

(٣) "سير أعلام النبلاء" (٨-٤٣٧).

(٤) كتاب: "تاريخ دمشق" لابن عساكر (٤١-١٧٩).

يَقُولُونَ عِنْدَ التَّعْزِيَةِ: لَا يَفْتِنُكُمُ اللهُ، وَلَا يَحْرِمُكُمْ، أَثَابَكُمُ اللهُ ثَوَابَ الصَّابِرِينَ، وَأَوْجَبَ لَكُمُ الصَّلَاةَ وَالرَّحْمَةَ»[١].

قال الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: تأمل في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرمها لقناعته بالدنيا عوضـًا عنها فقد قال أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إن حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك[٢].

عن الزبير بن خبيب، عن أبيه خبيب بن ثابت قال: خرجنا مع محمد بن عباد إلىٰ العمرة، فإنا لبقرب قديد، إذ لحقنا الأحوص الشاعر علىٰ جمل برحل، فقال: الحمد لله الذي وفقكم لي، ما أحب أنكم غيركم، ما زلت أحرك جملي في آثاركم منذ رفعتم لي ولا أعرفكم، فازددت بكم غبطة حين عرفتكم. فأقبل عليه محمد بن عباد فقال: لكنا والله ما غبطنا أنفسنا بك، ولا نحب مسايرتك. فتقدم عنا أو تأخر. فقال: والله ما رأيت كاليوم جوابـًا! قال: هو ذاك.

وكان محمد رجلاً جديـًا يكره الباطل وأهله، فأشفقنا مما صنع، ولم نستطيع أن نرد عليه، ونحن معه عدة من آل الزبير.

وتقدم عنا الأحوص، ولم يكن لي شأن غيره أن أعتذر إليه، وأفرق من محمد. فلما هبطنا من المشلل علىٰ خيمتي أم معبد، سمعت الأحوص يهمهم بشيء، فتفهمته، وهو قد بدرني، ومحمد خلف خيمتي أم معبد، فإذا هو يقول:

(١) كتاب: "تاريخ أصبهان" و "أخبار أصبهان" (١-٢٨٢).

(٢) كتاب: "إحياء علوم الدين" (٤-٥٣٨).

«خيمتي أم معبد»، «محمد»، كأنه يهيئ القوافي. فأمسكت راحلتي حتىٰ لحقني محمد، فقلت: إني سمعت هذا يهيئ بك القوافي، فإما تركتنا فاعتذرنا إليه وأرضيناه، وإما خليت بيننا وبينه فضر بناه، فإنا لا نصادفه في أخلىٰ من هذا المكان. فقال: كلا، إن سعد ابن مصعب قد أخذ عليه أن لا يهجو زبيريًا أبداً، وإن فعل رجوت أن يخزيه الله، دعه[1].

---

(١) كتاب: "جمهرة نسب قريش وأخبارها" (٧٤).

باب الاغتباط في العلم

بوّب البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه بابًا بعنوان: (بَاب: الِاغْتِبَاطِ فِي الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ).

والاغتباط في العلم من الأمور الطيبة ويسمىٰ بالحسد المباح لأهل العلم والفلاح وتمني الوصول إلىٰ ما وصلوا إليه من خير وصلاح وما عندهم من نشاط وكفاح فكل هذا التمني مُباح بشرط عدم تمني معها زوال النعمة عن المغبوط وقد سبق في الباب ما فيه الكفاية لمن عنده أدنىٰ معرفة ودراية.

وهنا ننقل بعض ما جاء عن أهل العلم في هذا الباب العظيم.

نقل البخاري في الباب قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا».

قلت: أخرجه الدارمي (٢٥٠)، وأبو خيثمة في العلم (٩)، والبيهقي في المدخل إلىٰ السنن (٣٧٣)، والشعب (١٦٦٩)، والخطيب في نصيحة أهل الحديث (٣)، وابن حجر في تغليق التعليق (٢/ ٨٢)، وابن أبي الدنيا في العزلة (ص ٨٣)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٥٠٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (رقم ٢٦١١٦) (١٣/ ٣٣٦).

ثم قَال الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَبَعْدَ أَنْ تُسَوَّدُوا ، وَقَدْ تَعَلَّمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِبَرِ سِنِّهِمْ».

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَإِنَّمَا أَرَادَ عُمَرُ أَنَّهَا قَدْ تَكُونُ سَبَبًا لِلْمَنْعِ؛ لِأَنَّ الرَّئِيسَ قَدْ

يَمْنَعُهُ الْكِبْرُ وَالِاحْتِشَامُ أَنْ يَجْلِسَ مَجْلِسَ الْمُتَعَلِّمِينَ، وَلِهَذَا قَالَ مَالِك عَنْ عَيْبِ الْقَضَاءِ: إِنَّ الْقَاضِي إِذَا عُزِلَ ، لَا يَرْجِعُ إِلَىٰ مَجْلِسِهِ الَّذِي كَانَ يَتَعَلَّمُ فِيهِ، الفتح (ح٧٣).

قال العيني (٢/ ٧٦): لا شك أن الذي يتفقَّهُ قبل السيادة يغبط في فقهه وعلمه، فيدخل في قوله: «باب الاغتباط في العلم»، انتهىٰ.

وقال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن من سوده الناس يستحيىٰ أن يقعد مقعد المتعلم خوفًا علىٰ رئاسته عند العامة[١].

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلَّطه علىٰ هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[٢].

قال الشيخ سعيد بن وهف القحطاني رَحِمَهُ اللَّهُ: فهذا حسد غبطة، الحامل لصاحبه عليه كِبَرُ نفسه، وحبُّه لخصال الخير[٣].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: الْحَدِيث دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الْغِبْطَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ: الْعِلْمِ، أَوِ الْجُودِ[٤].

---

(١) كتاب: "شرح صحيح البخاري" - ابن بطال (١١-٥٨).

(٢) البخاري (٧٣) ومسلم (٨١٦).

(٣) "سلامة الصدر" (ص ١٠).

(٤) "فتح الباري" (١-١٦٦).

قَالَ ابْنُ الْمُنِيرِ رَحِمَهُ اللهُ: الْمُرَادُ بِالْحَسَدِ هُنَا الْغِبْطَةُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالنَّفْيِ حَقِيقَتُهُ وَإِلَّا لَزِمَ الْخُلْفُ، لِأَنَّ النَّاسَ حَسَدُوا فِي غَيْرِ هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ وَغَبَطُوا مَنْ فِيهِ سِوَاهُمَا فَلَيْسَ هُوَ خَبَرًا، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهِ الْحُكْمُ، وَمَعْنَاهُ حَصْرُ الْمَرْتَبَةِ الْعُلْيَا مِنَ الْغِبْطَةِ فِي هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ فَكَأَنَّهُ قَالَ: هُمَا آكَدُ الْقُرُبَاتِ الَّتِي يُغْبَطُ بِهَا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ نَفْيَ أَصْلِ الْغِبْطَةِ مِمَّا سِوَاهُمَا فَيَكُونُ مِنْ مَجَازِ التَّخْصِيصِ، أَيْ لَا غِبْطَةَ كَامِلَةَ التَّأْكِيدِ لِتَأْكِيدِ أَجْرِ مُتَعَلِّقِهَا إِلَّا الْغِبْطَةَ بِهَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ[(١)].

قال الآجري رَحِمَهُ اللهُ: إنما عني بالحسد هاهنا الغبطة، وقد سمي ذلك حسدًا من حيث إنه عبارة عن الغم الذي ينال الإنسانَ من خير يناله غيره ولا يناله هو، وعلىٰ ذلك يقول الإنسان لولده: لا تحسد فلانًا فيما يتعلمه، أي: لا تتمن حاله. واعلم أن الحسد ضرب من الحماقة، لأن اغتمامه بما يناله ذووه وأهل بلده يقتضي أن يغتم أيضًا بما يناله أهل الصين والهند، علىٰ أن الخير الذي ينال ذويه إذا تفكر فيه هو أنفع له مما يناله الأباعد[(٢)].

وقال ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ: هذا الحسد الذىٰ أباحه ﷺ ليس من جنس الحسد المذموم، وقد بين ﷺ ذلك في بعض طرق هذا الحديث، فقال فيه: تمت فرآه رجل، يعنىٰ: ينفق المال ويتلو الحكمة، فيقول: ليتني أوتيت مثل ما أوتىٰ ففعلت مثل ما يفعل، فلم يتمنَّ أن يسلب صاحب المال ماله، أو صاحب

(١) "فتح الباري" (١٣-١٢١).

(٢) "الشريعة" (٢٤٦).

الحكمة حكمته، وإنما تمنىٰ أن يصير فى مثل حاله، من تفعّل الخير، وتمنىٰ الخير والصلاح جائز وقد تمنىٰ ذلك الصالحون والأخيار، ولهذا المعنىٰ ترجم البخاري لهذا الباب باب الاغتباط فى العلم والحكمة، لأن من أوتىٰ مثل هذه الحال فينبغي أن يغتبط بها وينافس فيها. وفيه من الفقه أن الغنىٰ إذا قام بشروط المال، وفعل فيه ما يرضىٰ الله، فهو أفضل من الفقير الذىٰ لا يقدر علىٰ مثل حاله(١).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: أصل الحسد: تمنِّي زوال النّعمة عن المنعَم عليه، ثم قد يكون مذمومًا، وغير مذموم، فالمذموم: أن تتمنَّىٰ زوال نعمة الله عن أخيك المسلم، سواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أم لا؟ وهذا النوع هو الذي ذمَّه الله - تعالىٰ - بقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء:٥٤].

وأما غير المذموم فقد يكون محمودًا، مثل: أن يتمنّىٰ زوال النعمة عن الكافر وعمن يستعين بها علىٰ المعصية. وأما: فهو أن تتمنّىٰ أن يكون لك من النعمة والخير مثل ما لغيرك، من غير أن تزول عنه، والحرص علىٰ هذا يُسمّىٰ: منافسة، ومنه: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين:٢٦] غير أنه قد يطلق علىٰ الغبطة حَسدًا، وعليه يُحمل الحسدُ في هذا الحديث، فكأنه قال: لا غبطةَ أعظم أو أفضل من الغبطة في هذين الأمرين. وقد نبّه البخاري علىٰ هذا(٢).

---

(١) كتاب: "شرح صحيح البخاري" - ابن بطال (١-١٥٨).

(٢) "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" (٢-٤٤٦).

وقال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْمُرَاد لَا حسد جَائِز فِي شَيْء من الْأَشْيَاء إلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، أَو الْمَعْنىٰ: لَا رخصَة فِي الْحَسَد فِي شَيْء إلَّا فِي اثْنَتَيْنِ. فَإِن قلت: مَا فِي هذَيْن الِاثْنَيْنِ غِبْطَة، وَهُوَ غير الْحَسَد، فَكيف يُقَال: لَا حسد؟ قلت: أطلق الْحَسَد وَأَرَادَ الْغِبْطَة، من قبيل إِطْلَاق اسْم الْمُسَبّب علىٰ السَّبَب(١).

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال العلماء إن معناه هنا هو الغبطة يعني لا شيء فيه غبطة إلا هاتين الاثنتين وذلك لأن الناس يغبط بعضهم بعضا في أمور الدنيا وفي أمور الآخرة فتجد مثلا بعض الناس يغبط هذا الرجل حين أعطاه الله المال والأولاد والأهل والقصور والسيارات وما أشبه ذلك يقول هذا هو الحظ هذا هو المغتبط وما أشبه ذلك يحسد يغبط بعض الناس علىٰ ما آتاه الله من الصحة وسلامة البنيان وغير ذلك يغبطه علىٰ أنه له شرف وجاه في قومه إن قال سمع وإن عمل اتبع فيقول هذا هو الحظ(٢).

وقال الهروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أصل الحسد تمني زوال النعمة عن الْمُنعم عليه ثم قد يكون مذمومًا وغير مذموم فالمذموم أن تتمنىٰ زوال نعمة الله تعالىٰ عن أخيك المسلم سواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أم لا وهذا النوع هو الذي ذمه الله تعالىٰ بقوله ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء:٥٤] [النساء: ٥٤].

وأما غير المذموم فقد يكون محمودًا مثل أن يتمنىٰ زوال النعمة عن الكافر

---

(١) "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" (٢-٤٤٦).

(٢) (٤-٦٤٩).

وعمن يستعين بها علىٰ المعصية، وأما الغبطة فهي أن تتمنىٰ أن يكون لك من النعمة والخير مثل ما لغيرك من غير أن تزول عنه، والحرص علىٰ هذا يسمىٰ منافسة، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين:٢٦] [المطففين: ٢٦] غير أنه قد يطلق علىٰ الغبطة حسد، وعليه يحمل الحسد في هذا الحديث فكأنه قال: لا غبطة أعظم أو أفضل من الغبطة في هذين الأمرين(١).

وقال الملا علي القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: هُنَا الْغِبْطَةُ وَهِيَ تَمَنِّي حُصُولِ مِثْلِهَا لَهُ، وَأُطْلِقَ الْحَسَدُ عَلَيْهَا مَجَازًا.

وَقَالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ لَا رُخْصَةَ فِيهِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ مَعْنَاهُ لَوْ جَازَ الْحَسَدُ لَمَا جَازَ إِلَّا فِيمَا ذُكِرَ، وَأَمَّا مَا قِيلَ مِنْ أَنَّهُ يُؤْخَذُ مِنَ الْحَدِيثِ إِبَاحَةُ نَوْعٍ مِنَ الْحَسَدِ لِتَضَمُّنِهِ الْمَنْفَعَةَ فِي الدِّينِ فَغَيْرُ صَحِيحٍ (إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ) أَيْ: فِي نَفِيسَيْنِ أَوْ خَصْلَتَيْنِ، وَرُوِيَ بِالتَّذْكِيرِ أَيْ فِي شَأْنِ اثْنَيْنِ (رَجُلٍ) : رُوِيَ مَجْرُورًا عَلَىٰ الْبَدَلِ وَهُوَ أَوْثَقُ الرِّوَايَاتِ، وَرُوِيَ مَرْفُوعًا مُبْتَدَأً. وَقَالَ الطِّيبِيُّ: رُوِيَ: لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَيْنِ فَيَكُونُ «رَجُلٍ» بَدَلًا مِنْهُ، وَرُوِيَ فِي اثْنَتَيْنِ أَيْ خَصْلَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ، فَلَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ مُضَافٍ لِيَسْتَقِيمَ الْمَعْنَىٰ، فَإِذَا رُوِيَ فِي اثْنَيْنِ يُقَدَّرُ فِي شَأْنِ اثْنَتَيْنِ، وَإِذَا رُوِيَ اثْنَتَيْنِ، يُقَدَّرُ خَصْلَةُ رَجُلٍ (آتَاهُ اللهُ) : بِالْمَدِّ أَيْ أَعْطَاهُ (مَالًا) أَيْ: مَالًا كَثِيرًا أَوْ نَوْعًا مِنَ الْمَالِ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ حَلَالًا، (فَسَلَّطَهُ)، أَيْ: وَكَّلَهُ اللهُ وَوَفَّقَهُ (عَلَىٰ هَلَكَتِهِ): بِفَتْحَتَيْنِ أَيْ: إِنْفَاقِهِ وَإِهْلَاكِهِ، وَعَبَّرَ بِذَلِكَ لِيَدُلَّ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا يُبْقِي مِنْهُ

---

(١) كتاب: "الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج" (١٠-١٧٩).

شَيْئًا وَكَمَّلَهُ بِقَوْلِهِ: (فِي الْحَقِّ): لِيُزِيلَ الْإِسْرَافَ الْمَذْمُومَ وَالرِّيَاءَ الْمَلُومَ، وَلَا سَرَفَ فِي الْخَيْرِ كَمَا لَا خَيْرَ فِي السَّرَفِ (وَرَجُلٍ): بِالْوَجْهَيْنِ لِلْعَطْفِ (آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ): وَهِيَ إِصَابَةُ الْحَقِّ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ أَوْ عِلْمِ أَحْكَامِ الدِّينِ. قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: عَرَّفَ الْحِكْمَةَ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا مَعْرِفَةُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الشَّرِيعَةُ، وَأَرَادَ التَّعْرِيفَ بِلَامِ الْعَهْدِ (فَهُوَ يَقْضِي) أَيْ: يَعْمَلُ وَيَحْكُمُ (بِهَا) أَيْ: بِالْحِكْمَةِ الَّتِي أُوتِيهَا (وَيُعَلِّمُهَا) . أَيْ غَيْرَهُ[1].

وقال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: «في حديث ابن مسعود لا حسد» المراد بالحسد هنا المنافسة، والفرق بين الحسد والمنافسة، أن المنافسة المبادرة إلىٰ الكمال الذي تشاهده من غيرك فتنافسه فيه حتىٰ تلحقه أو تجاوزه فهو من شرف النفس وعلو الهمة وكبر القدر وطلب المعالي.

والحسد خلق نفس ذميمة وضيعة ساقطة ليس فيها حرص علىٰ الخير ولا همة عليه، فلعجزها ودنائتها تحسد من يكسب الخير والمحامد، ويفوز بها دونها، فتمني أنه لو فاته كسبها حتىٰ يساويها في عدم الهمة في كسب الخير، ومراد الحديث: لا غبطة إلا في هاتين الخصلتين، فعبّر بالحسد عن الغبطة اتساعًا في ذلك لتقاربهما[2].

وقال الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يحتمل أن يكون الحديث من قبيل قوله تعالىٰ: ﴿لَا

---

(١) كتاب: "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" (١-٢٨٥-٢٨٦).

(٢) كتاب: "التحبير لإيضاح معاني التيسير" (٣-٦٣٤).

﴿يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان:٥٦] كأنه قيل: لا حسد إلا في هاتين والذي فيهما غبطة فلا حسد أصلاً، فإن قيل: الحسد قد يكون في غيرهما فما وجه الحصر قيل: إما لأن القصد لا حسد جائز في شيء إلاّ في اثنتين، أو: لا رخصة في الحسد إلا فيهما ونحو ذلك[1].

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معنىٰ الحديث «الترغيب» في التصدق وتعلم العلم[2].

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: «لا حسد إلا في اثنتين» الحديث، معناه: لا حسد محمودٌ أو ممدوح إلا هذا؛ لأنه حسدٌ علىٰ فعل الخير. والحسد علىٰ ثلاثة أضرب: مُحَرَّمٌ مذمومٌ، ومباح، ومحمود مرغبٌ فيه، فالأول تمنىٰ زوال النعمة المحسودة من صاحبها وانتقالها إلىٰ الحاسد، وهذا هو حقيقة الحسد، وهو مذموم شرعـًا وعرفـًا، وأما الوجهان الآخران: فهو الغبْطُ، وهو أن يتمنىٰ ما يراه من خير بأحدٍ أن يكون له مثله، فإن كان من أمور الدنيا المباحة كان تمنىٰ ذلك مباحـًا، وإن كانت من أمور الطاعات كان محموداً مرغبـًا فيه[3].

وقال ابن الملقب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفيه: أن النية إذا حصلت تقوم مقام العمل، فنية المؤمن من عمله. وهنا هي مثله؛ لأن العمل لا بد أن يكون فيه للنفس حظ،

---

(١) في شرحه لـ"صحيح البخاري" (٢/ ٤٣).

(٢) ذكره الكرماني في شرحه لـ"صحيح البخاري" (٢/ ٤٢).

(٣) كتاب: "إكمال المعلم بفوائد مسلم" (٣-١٨٥).

والنية تعرىٰ عن ذلك(١).

وقال شمس الدين الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي لا حسد في شيء إلا في اثنتين. فإن قلت ما هذه الظرفية وكيف هي والحسد موجود في الحاسد لا فيهما قلت معناه لا حسد للرجل إلا في شأن اثنتين. فإن قلت الحسد قد يكون في غيرهما فكيف يصح الحصر قلت المقصود لا حسد جائز في شيء إلا في اثنتين أولا رخصة في الحسد إلا في اثنتين. فإن قلت لا حسد إلا في غير هذين الاثنين فأن ما فيهما غبطة لا حسد.

قلت: أطلق الحسد وأراد الغبطة ولهذا عبر البخاري عنه بلفظ الاغتباط(٢).

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معني الحسد ههنا شدة الحرص والرغبة بالحسد عنهما لأنه سببه والداعي إليه ومعني الحديث الترغيب في التصدق بالمال وتعليم العلم وقيل أن فيه تخصيصا لإباحة نوع من الحسد وإخراجا له من جملة ما حظر منه وإنما فيهما لما يتضمن مصلحة في الدين(٣).

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: «لا حسد إلا في اثنتين» الحديث، معناه: لا حسد محمودٌ أو ممدوح إلا هذا؛ لأنه حسدٌ علىٰ فعل الخير. والحسد علىٰ ثلاثة أضرب: مُحَرَّمٌ مذمومٌ، ومباح، ومحمود مرغبٌ فيه، فالأول تمنىٰ زوال

---

(١)كتاب التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٤-١٢٠).

(٢) كتاب: "الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري" (٢-٤٢).

(٣) كتاب: "الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري" (٢-٤٢).

النعمة المحسودة من صاحبها وانتقالها إلىٰ الحاسد، وهذا هو حقيقة الحسد، وهو مذموم شرعـًا وعرفـًا، وأما الوجهان الآخران: فهو الغبْطُ، وهو أن يتمنىٰ ما يراه من خير بأحدٍ أن يكون له مثله، فإن كان من أمور الدنيا المباحة كان تمنىٰ ذلك مباحـًا، وإن كانت من أمور الطاعات كان محموداً مرغبـًا فيه(١).

وقال ابن الملقب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفيه: أن النية إذا حصلت تقوم مقام العمل، فنية المؤمن من عمله. وهنا هي مثله؛ لأن العمل لا بد أن يكون فيه للنفس حظ، والنية تعرىٰ عن ذلك(٢).

وقال شمس الدين الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: لا حسد في شيء إلا في اثنتين، فإن قلت: ما هذه الظرفية وكيف هي والحسد موجود في الحاسد لا فيهما؟ قلت: معناه لا حسد للرجل إلا في شأن اثنتين، فإن قلت: الحسد قد يكون في غيرهما فكيف يصح الحصر؟ قلت: المقصود لا حسد جائز في شيء إلا في اثنتين أولا رخصة في الحسد إلا في اثنتين، فإن قلت: لا حسد إلا في غير هذين الاثنين فأن ما فيهما غبطة لا حسد، قلت: أطلق الحسد وأراد الغبطة ولهذا عبر البخاري عنه بلفظ الاغتباط(٣).

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معني الحسد ههنا شدة الحرص والرغبة بالحسد

---

(١) كتاب: "إكمال المعلم بفوائد مسلم" (٣-١٨٥).

(٢) كتاب: "التوضيح لشرح الجامع الصحيح" (٢٤-١٢٠).

(٣) كتاب: "الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري" (٢-٤٢).

عنهما لأنه سببه والداعي إليه ومعني الحديث الترغيب في التصدق بالمال وتعليم العلم وقيل أن فيه تخصيصا لإباحة نوع من الحسد وإخراجا له من جملة ما حظر منه وإنما فيهما لما يتضمن مصلحة في الدين(١).

قال ابْنَ قُتَيْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَتَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَىٰ سُلْطَانٍ: أُعِيذُكَ بِاللهِ أَنْ تَكُونَ لَاهِيًا عَنِ الشُّكْرِ مَحْجُوبًا بِالنِّعَمِ، صَارِفًا فَضْلَ مَا أُوتِيتُهُ مِنَ السُّلْطَانِ إِلَىٰ مَا تَقِلُّ عَائِدَتُهُ وَتَعْظُمُ تَبِعَتُهُ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ؛ فَيَبِينَ لَكَ الشَّيْطَانُ بِخِدَعِهِ وَغُرُورِهِ وَتَسْوِيلِهِ، فَيُزِيلُ عَاجِلَ الْغِبْطَةِ وَيُنْسِيكَ مَذْمُومَ الْعَاقِبَةِ، فَإِنَّ الْحَازِمَ مَنْ تَفَكَّرَ فِي يَوْمِهِ الْمَخُوفِ مِنْ عَوَاقِبَ غَيِّهِ، وَلَمْ يَغُرَّهُ طُولَ الْأَمَلِ وَتَرَاضِي الْغَايَةِ، وَلَمْ يَضْرِبْ فِي غَمْرَةٍ مِنَ الْبَاطِلِ مَا لَا يَدْرِي مَا يَتَجَلَّىٰ بِهِ مَغَبَّتُهَا، هَذَا إِلَىٰ مَا يَتْبَعُ الظُّلْمَ مِنْ سُوءِ الْمُنْقَلَبِ، وَقَبِيحِ الذِّكْرِ الَّذِي لَا يُفْنِيهِ كَرُّ الْجَدِيدَيْنَ وَاخْتِلَافُ الْعَصْرَيْنِ، فِي دَارٍ يَقُولُ لَهُمْ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [المؤمنون:١٠٨](٢).

عَنْ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ الْأَهْتَمِ؛ قَالَ: وَفَّدَنِي يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ إِلَىٰ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي وَفْدِ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ وَقَدْ خَرَجَ مُبْتَدِئًا بِقَرَابَتِهِ وَحَشَمِهِ وَأَهْلِهِ، وَغَاشِيَتِهِ مِنْ جُلَسَائِهِ، وَقَدْ نَزَلَ فِي أَرْضٍ صَحْصَحٍ فِي عَامٍ قَدْ كَثُرَ وَسْمِيُّهُ، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ فِيهِ زِينَتَهَا مِنَ اخْتِلَافِ أَلْوَانِ نَبْتِهَا، وَقَدْ ضُرِبَ لَهُ

---

(١) كتاب: "الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري" (٢-٤٢).

(٢) كتاب: "المجالسة وجواهر العلم" (٦-٢٢٣).

سُرَادِقٌ مِنْ حَبْرَةٍ مُلَوَّنَةٍ وَفُرِشَ لَهُ أَلْوَانُ الفرش، وزينت: أحسن الزِّينَةِ، وَقَدْ أَخَذَ النَّاسُ مَجَالِسَهُمْ؛ فَأَخْرَجْتُ رَأْسِي مِنْ نَاحِيَةِ الْفُسْطَاطِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ شِبْهَ الْمُسْتَنْطِقِ لِي، فَقُلْتُ: أَتَمَّ اللهُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نِعَمَهُ، وَسَوَّغَكَهَا بِشُكْرِهِ، وَجَعَلَ مَا قَلَّدَكَ مِنَ الأَمْرِ رُشْدًا، وَعَاقِبَةَ ما تؤول إِلَيْهِ حَمْدًا، وخَلَّصَهُ لَكَ بِالْبَقَاءِ، وَكَثَّرَهُ لَكَ بِالنَّمَاءِ، وَلا كَدَّرَ عَلَيْكَ مِنْهَ صَافِيًا، وَلا خَلَطَ بِسُرُورِهِ الرَّدَىٰ؛ فَقَدْ أَصْبَحْتَ لِلْمُسْلِمِينَ ثِقَةً وَمُسْتَرَاحًا، إِلَيْكَ يَفْزَعُونَ وَإِلَيْكَ يَصْدُرُونَ، وَمَا أَجِدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا هُوَ أَبْلَغُ مِنْ حَدِيثِ مَنْ سَلَفَ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الْمُلُوكِ؛ فَإِنْ أَذِنَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أُخْبِرْهُ بِهِ. فَاسْتَوَىٰ جَالِسًا وَكَانَ متكئا؛ فقال: هات يا ابن الأَهْتَم. قَالَ: قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ خَرَجَ فِي عَامٍ مِثْلِ عَامِنَا هَذَا إِلَىٰ الْخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ فِي عَامٍ قَدْ بَكَرَ وَسْمِيُّهُ، وَتَتَابَعَ وَلِيُّهُ، وَأَخَذَتِ الأَرْضُ مِنْهُ زُخْرُفَهَا وَزِينَتَهَا، وَكَانَ قَدْ أُعْطِيَ بَسْطَةً فِي الْمُلْكِ مَعَ الْكَثْرَةِ وَالْغَلَبَةِ وَالْقَهْرِ، فَنَظَرَ فَأَنْفَذَ النَّظَرَ، فَقَالَ لِجُلَسَائِهِ: لِمَنْ هَذَا؟ قَالُوا: لِلْمَلِكِ. قَالَ: فَهَلْ رَأَيْتُمْ أَحَدًا أُعْطِيَ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ؟ قَالَ: وَكَانَ عِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ بَقَايَا حَمَلَةِ الْحُجَّةِ، وَلَمْ تَخْلُ الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّتِهِ فِي عِبَادِهِ، فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ! إِنَّكَ قَدْ سَأَلْتَ عَنْ أَمْرٍ؛ فَتَأْذَنُ لِي بِالْجَوَابِ عَنْهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَرَأَيْتَ مَا أَنْتَ فِيهِ؛ أَشَيْءٌ لَمْ تَزَلْ فِيهِ أَمْ شَيْءٌ صار إِلَيْكَ مِيرَاثًا وَهُوَ زَائِلٌ عَنْكَ وَصَائِرٌ إِلَىٰ غَيْرِكَ كَمَا صَارَ إِلَيْكَ؟ قَالَ: كَذَلِكَ هُوَ. قَالَ: فَلا أَرَاكَ إِنَّمَا أُعْجِبْتَ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ لا تَكُونُ فِيهِ إِلا قَلِيلا وَتُنْقَلُ عَنْهُ طَوِيلا؛ فَيَكُونُ غَدًا عَلَيْكَ حِسَابًا. قَالَ: وَيْحَكَ! فَأَيْنَ الْمَهْرَبُ وَأَيْنَ

الْمَطْلَبُ؟ فَأَخَذَتْهُ الأَقْشَعْرِيرَةُ، قَالَ: إِمَّا أَنْ تُقِيمَ فِي مُلْكِكَ فَتَعْمَلَ فِيهِ بِطَاعَةِ اللهِ عَلَىٰ مَا سَاءَكَ وَسَرَّكَ وَأَمَضَّكَ وَأَرْمَضَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَنْخَلِعَ عَنْ مُلْكِكَ وَتَضَعَ تَاجَكَ وَتُلْقِيَ عَلَيْكَ أَطْمَارَكَ وَتَعْبُدَ رَبَّكَ فِي هَذَا الْجَبَلِ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ أَجَلُكَ. فَقَالَ: إِنِّي مُفَكِّرٌ اللَّيْلَةَ وَأُوَافِيكَ فِي السَّحَرِ، فَأُخْبِرُكَ إِحْدَىٰ الْمَنْزِلَتَيْنِ. فَلَمَّا كَانَ فِي السَّحَرِ قَرَعَ عَلَيْهِ بَابَهُ، فَقَالَ: إِنِّي اخْتَرْتُ هَذَا الْجَبَلَ وَفَلَوَاتَ الأَرْضِ وَقَفْرَ الْبِلادِ، وَقَدْ لَبِسْتُ عَلَيَّ أَمْسَاحِي وَوَضَعْتُ تَاجِي، فَإِنْ كُنْتَ رَفِيقًا؛ فَلا تُخَالِفْ. فَلَزِمَا وَاللهِ الْجَبَلَ حَتَّىٰ أَتَاهُمَا أَجَلُهُمَا جَمِيعًا. وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ أَخُو تَمِيمٍ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ الْعَبَّادِيُّ:

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيِّرُ بِالدَّهْرِ ... أَأَنْتَ الْمُبَرَّأُ الْمَوْفُورُ
أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الأَيَّامِ ... بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ
مَنْ رَأَيْتَ الْمَنُونَ خَلَّدْنَ أَمْ مَنْ ... ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ
أَيْنَ كِسْرَىٰ كِسْرَىٰ الْمُلُوكِ أَنُو ... سَاسَانَ أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ
وَبَنُو الأَصْفَرِ الْكِرَامُ مُلُوكُ الرُّومِ ... لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
وَأَخُو الْحَضْرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ ... دِجْلَةُ تُجْبَىٰ إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ
شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْسًا ... فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وُكُورُ
لَمْ يَهَبْهُ رَيْبُ الْمَنُونِ فَبَادَ ... الْمُلْكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ
وَتَذَكَّرْ رَبُّ الْخَوَرْنَقِ إِذْ ... أَشْرَفَ يَوْمًا وَلِلْهُدَىٰ تَفْكِيرُ
سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْلِكُ ... وَالْبَحْرُ مُعَرِّضٌ وَالسَّدِيرُ
فَارْعَوَىٰ قَلْبُهُ وَقَالَ فَمَا ... غِبْطَةُ حَيٍّ إِلَىٰ الْمَمَاتِ يَصِيرُ

قَالَ: فَبَكَىٰ هِشَامٌ؛ حَتَّىٰ اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ وَحَلَّ عِمَامَتَهُ، وأمر بأبنيته وَبِقِلاعِ

فَرْشِهِ وَحَشَمِهِ، وَلَزِمَ قَصْرَهُ، فَأَقْبَلَتِ الْمَوَالِي وَالْحَشَمُ عَلَىٰ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ الأَهْتَمِ، فَقَالُوا: مَاذَا أَرَدْتَ إِلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ أفسدت عَلَيْهِ لَذَّتَهُ وَنَغَّصْتَ عَلَيْهِ بَادِيَتَهُ؟ ! فَقَالَ: إِلَيْكُمْ عَنِّي؛ فَإِنِّي عَاهَدْتُ اللهَ أَلا أَخْلُوَ بمَلِكٍ إِلا ذَكَّرْتُهُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ. فَبَعَثَ إِلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْوَفْدِ بِجَائِزَةٍ - وَكَانُوا عَشَرَةً - وَبَعَثَ إِلَىٰ خَالِدٍ بِمِثْلِ جَمِيعِ مَا وَجَّهَ إِلَىٰ جَمِيعِ الْوَفْدِ[1].

وَكَمْ نَائِمٍ نَام فِي غِبْطَةٍ ... أَتَتْهُ الْمَنِيَّةُ فِي نَوْمَتِهِ
وَكَمْ مِنْ مُقِيمٍ عَلَىٰ لَذَّةٍ ... دَهَتْهُ الْحَوَادِثُ فِي لَذَّتِهِ
وَكُلُّ جديدٍ علىٰ ظهرها ... سيأتي الزَّمَانُ عَلَىٰ جِدَّتِهِ

قال ابن أبي خيثمة حَدثنَا ابْن الْأَصْبَهَانِيّ، قَالَ: أَنا شريك، عَن أبي إِسْحَاق: فِي قَوْله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [سورة الإسراء:٧٩].

قَالَ: يَبْعَثهُ يَوْم الْقِيَامَة مقَاما يغبطه الْأَولونَ وَالْآخرُونَ.

كتاب التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة - أخبار المكيين - ط الوطن (٢٧٤).

قال الشيخ عبد العزيز الراجحي: من توفيق الله للعبد وإرادته الخير له أن يفقهه في الدين، ومن فقهه الله في الدين فيجوز أن يغبطه الإنسان ويتمنىٰ أن يعلمه الله كما علم ذاك الرجل.

ومن فقهه الله في الدين فلا ينبغي له أن يكتم العلم إلا لحاجة شرعية، كما أن

(١) "المجالسة" (٧-٤٧).

عليه ألا يفتخر علىٰ الناس بعلمه، وأن يتواضع لمن سأله عن هذا العلم[(١)].

قَال الحَجَّاجُ عِنْدَ مَوْتِهِ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، فَإِنَّ النَّاس يَقُولُون: إِنَّكَ لَنْ تَغْفِرَ لِي».

فَكَان عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ تُعْجِبُهُ هَذِهِ الكَلِمَة، بَلْ كَانَ يَغْبِطُهُ عَلَيْهَا، وَلَمَّا حُكِيَ ذَلِكَ لِلْحَسَنِ البَصْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَال: «أَقَالهَا؟ قَالُواْ: نَعَمْ، فَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: عَسَىٰ» أَيْ: عَسَىٰ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُ بِهَذِهِ الكَلِمَة[(٢)].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحسد تمني زوال النعمة عن غيره، والغبطة مثلها من غير زوالها.

والحسد حرام، والغبطة في الخير محمودة محبوبة، والمراد بقوله صلىٰ الله عليه وسلم: «لا حسد إلا في اثنتين»، أي: لا غبطة محمودة يتأكد الاهتمام بها إلا في اثنين[(٣)].

قال السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ [سورة النساء:٣٢]، وَفِي هَذَا دَلِيل علىٰ أَن الْحَسَد حرَام؛ والحسد: هُوَ أَن يتَمَنَّىٰ زَوَال النِّعْمَة عَن صَاحبه، ويتمناها لنَفسِهِ، وَالْغِبْطَة: هُوَ أَن يتَمَنَّىٰ لنَفسِهِ مثل مَا لصَاحبه، فالحسد حرَام، وَالْغِبْطَة لَا بَأْس بهَا، ثمَّ اخْتلفُوا فِي معنىٰ الْفضل هَاهُنَا، قَالَ ابْن عَبَّاس: واسألوا الله من

---

(١) كتاب شرح صحيح ابن حبان – الراجحي (١-٥).

(٢) "الإحياء" دار الوثائق المصرية، طبعة الحافظ العراقيّ، وفاةُ الخُلفَاء: (١٨٧٥).

(٣) كتاب: "التبيان في آداب حملة القرآن" (٢٠٦).

فَضله، أَي: من رزقه[١].

قال صَالِحَ بْنَ عَبْدِ الْجَلِيلِ، يَقُولُ: «لَا يَنْظُرُ أَهْلِ الْبَصَائِرِ إِلَىٰ مُلُوكِ الدُّنْيَا بِالتَّعْظِيمِ لَهُمْ وَالْغِبْطَةِ»[٢].

قلت: من أحسن مواضع الغبطة أن تغبط أهل الصلاح والتقوىٰ، أن تغبط طالب علم سلفي، أن تغبط العلماء وتسعىٰ جاهدًا للوصول إلىٰ ما وصلوا اليه من علم وفضل ومكانة.

أما الغبطة لأهل الدنيا فقليل من يفعلها؛ لأنها غالبًا تصير إلىٰ الحسد.

اليوم يرحمنا من كان يغبطنا ... واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا

وقال صَالِحَ بْنَ عَبْدِ الْجَلِيلِ، يَقُولُ: «يَنْظُرُ أَهْلُ الْبَصَائِرُ إِلَىٰ مُلُوكِ أَهْلِ الدُّنْيَا بِالتَّصْغِيرِ لَهُمْ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ أَهْلُ الدُّنْيَا بِالتَّعْظِيمِ لَهُمْ وَالْغَبْطَةِ»[٣].

الحسد حسدان: حسد تَمَنىٰ زوال النعمة وحصولها للحاسد، وتمَنِّي زوالها من غير طلب حصولها للحاسد، وهو شرّ الحسَدين؛ لأنه طلب المفسدة الصِّرفة من غير معارض عادي طبعي.

ثم حكْمُ الحسد التحريمُ، وأمَّا الغِبطةُ فالإباحة[٤].

---

(١) كتاب: "تفسير السمعاني" (١-٤٢٢).

(٢) كتاب: "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" - ط السعادة (٩-٢٦١).

(٣) "حلية الأولياء" (٨-٣١٧).

(٤) كتاب: "ترتيب الفروق واختصارها" (٢-٤٠٩).

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «قال الله تعالىٰ: المتحابُّونَ في جلالي لهم منابرُ من نورٍ يَغبِطُهم النَّبيونَ والشُّهداءُ»[١].

قال المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يغبطهم النبيون والشهداء.

قال القارئ بِكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ مِنَ الْغِبْطَةِ بِالْكَسْرِ، وَهِيَ تَمَنِّي نِعْمَةٍ عَلَىٰ أَلَّا تَتَحَوَّلَ عَنْ صَاحِبِهَا، بِخِلَافِ الْحَسَدِ فَإِنَّهُ تَمَنِّي زَوَالِهَا عَنْ صَاحِبِهَا، فَالْغِبْطَةُ فِي الْحَقِيقَةِ عِبَارَةٌ عَنْ حُسْنِ الْحَالِ، كَذَا قِيلَ.

وَفِي الْقَامُوسِ: الْغِبْطَةُ حُسْنُ الْحَالِ وَالْمَسَرَّةِ، فَمَعْنَاهَا الْحَقِيقِيُّ مُطَابِقٌ لِلْمَعْنَىٰ اللُّغَوِيِّ، فَمَعْنَىٰ الْحَدِيثِ يَسْتَحْسِنُ أَحْوَالَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ.

قَالَ: وَبِهَذَا يَزُولُ الْإِشْكَالُ الَّذِي تَحَيَّرَ فِيهِ الْعُلَمَاءُ.

وَقَالَ الْقَاضِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كُلُّ مَا يَتَحَلَّىٰ بِهِ الْإِنْسَانُ أَوْ يَتَعَاطَاهُ مِنْ عِلْمٍ وَعَمَلٍ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ صَاحِبُهُ مِمَّنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ مَا هُوَ أَرْفَعُ قَدْرًا وَأَعَزُّ ذُخْرًا فَيَغْبِطُهُ، بِأَنْ يَتَمَنَّىٰ وَيُحِبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مثل ذلك مفهوما إلىٰ ماله مِنَ الْمَرَاتِبِ الرَّفِيعَةِ، أَوِ الْمَنَازِلِ الشَّرِيفَةِ، وَذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: «يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ»، فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ قَدِ اسْتَغْرَقُوا فِيمَا هُوَ أَعْلَىٰ مِنْ ذَلِكَ مِنْ دَعْوَةِ الْخَلْقِ وَإِظْهَارِ الْحَقِّ وَإِعْلَاءِ الدِّينِ وَإِرْشَادِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ إِلَىٰ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٠)، وأحمد (٢٢٠٨٠) وصححه الألباني في "صحيح الترغيب" (٣٠١٩).

غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كُلِّيَّاتٍ، أَشْغَلَتْهُمْ عَنِ الْعُكُوفِ عَلَىٰ مِثْلِ هَذِهِ الْجُزْئِيَّاتِ وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِهَا، وَالشُّهَدَاءُ وَإِنْ نَالُوا رُتْبَةَ الشَّهَادَةِ وَفَازُوا بِالْفَوْزِ الْأَكْبَرِ فَلَعَلَّهُمْ لَنْ يُعَامَلُوا مَعَ اللهِ مُعَامَلَةَ هَؤُلَاءِ، فَإِذَا رَأَوْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مَنَازِلِهِمْ وَشَاهَدُوا قُرْبَهُمْ وَكَرَامَتَهُمْ عِنْدَ اللهِ وَدُّوا لَوْ كَانُوا ضَامِّينَ خِصَالَهُمْ فَيَكُونُونَ جَامِعِينَ بَيْنَ الْحَسَنَتَيْنِ وَفَائِزِينَ بِالْمَرْتَبَتَيْنِ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ فِي ذَلِكَ إِلَىٰ إِثْبَاتِ الْغِبْطَةِ لَهُمْ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ، بَلْ بَيَانِ فَضْلِهِمْ وَعُلُوِّ شَأْنِهِمْ وَارْتِفَاعِ مَكَانِهِمْ وَتَقْرِيرِهَا عَلَىٰ آكَدِ وَجْهٍ وَأَبْلَغِهِ.

وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّ حَالَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَثَابَةٍ لَوْ غَبَطَ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَئِذٍ مَعَ جَلَالَةِ قَدْرِهِمْ وَنَبَاهَةِ أَمْرِهِمْ حَالَ غَيْرِهِمْ لَغَبَطُوهُمْ[١].

وقال ابن الملك رَحِمَهُ اللهُ: يغبطهم النبيون والشهداء؛ أي: يتمنون مثل حالهم من غير إرادةِ زوالها عنهم، قيل: المراد بيان فضلهم وعلوِّ شأنهم لا إثباتُ الغبطة لهم علىٰ حالهم، ولا يلزم أن يكون للمغبوط مرتبة أعلىٰ من مرتبة النبيين والشهداء، ويحتمل أن يقصد إثباتها لأنَّ كل ما يتعاطاه الإنسان من علم أو عمل يكون لفاعله عنده تعالىٰ منزلةٌ لا يشاركه فيها غيره، وإن كان للغير ما هو أرفع فيغبطه ويتمنىٰ أن يكون له مثلُ ذلك مضموماً إلىٰ حاله[٢].

«للمتحابين فيّ»؛ يعني: الذين يحب بعضهم بعضًا لمرضاتي ولأجلي، لا

(١) "تحفه الاحوذي" (٧-٥٦).

(٢) كتاب: "شرح المصابيح لابن الملك" (٥-٣١٥).

لغرضٍ دنيوي[١].

وقال الملا علي القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَمَعْنَىٰ الْحَدِيثِ يَسْتَحْسِنُ أَحْوَالَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ»[٢].

وقال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمراد أن حالهم في الآخرة بحيث لو غبط الأنبياء والشهداء أحدا لغبطوا هؤلاء مع ما هم فيه من كرامة الله، وقال البيضاوي: لكل ما يعلىٰ به الإنسان ويتعاطاه من علم وعمل عند الله تعالىٰ منزلة لا يشارك فيها غيره مما لا يتصف بها وإن كان له من نوع آخر ما هو أرفع قدرا[٣].

وقال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي يحسدونهم حسدا خاصا محمودا[٤].

وقال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَيْسَ الْمُرَاد أَن الْأَنْبِيَاء وَمن مَعَهم يغبطون المتحابين حَقِيقَة بل الْقَصْد بَيَان فَضلهمْ وعلو قدرهم عِنْد رَبهم علىٰ آكِد وَجه وأبلغه[٥].

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدَّثني أَحْمَدُ بْنُ إِشْكابٍ: حدَّثنا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عن الْعَلَاءِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عن أَبِيهِ، قالَ: لَقِيتُ الْبَراءَ بْنَ عازِبٍ، فَقُلْتُ: طُوبَىٰ لَكَ؛

---

(١) كتاب: "المفاتيح في شرح المصابيح" (٥-٢٣١).

(٢) كتاب: "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" (٥-٣١٣٧).

(٣) كتاب: "التنوير شرح الجامع الصغير" (٨-٨).

(٤) كتاب: "فيض القدير" (٤-٣٦٤).

(٥) كتاب: "التيسير بشرح الجامع الصغير" (٢-١٨٧).

صَحِبْتَ رسولَ الله ﷺ وَبايَعْتَهُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ[١].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: طُوبَىٰ لَكَ، صَحِبْتَ النَّبِيَّ ﷺ غَبَطَهُ التَّابِعِيُّ بِصُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مِمَّا يُغْبَطُ بِهِ[٢].

---

(١) صحيح البخاري (٤١٧٠).

(٢) كتاب: "فتح الباري بشرح البخاري" (٧-٤٥٠).

لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ»(١).

قال أَبُو الْأَحْوَصِ رَحِمَهُ اللَّهُ: دَخَلْنَا عَلَىٰ ابْنِ مَسْعُودٍ وَعِنْدَهُ بَنُونَ لَهُ غِلْمَانٌ كَأَنَّهُمُ الدَّنَانِيرُ حُسْنًا، فَجَعَلْنَا نَتَعَجَّبُ مِنْ حُسْنِهِمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ، «كَأَنَّكُمْ تَغْبِطُونَنِي بِهِمْ؟» قُلْنَا: وَاللهِ إِنَّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ غُبِطَ بِهِمُ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَىٰ سَقْفِ بَيْتٍ لَهُ قَصِيرٍ وَقَدْ عَشَّشَ فِيهِ الْخُطَّافُ وَبَاضَ فِيهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَنْ أَكُونَ قَدْ نَفَضْتُ يَدَيَّ عَنْ تُرَابِ قُبُورِهِمْ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَخِرَّ عُشُّ هَذَا الْخُطَّافِ فَيَنْكَسِرَ بَيْضُهُ» قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: خَوْفًا عَلَيْهِمِ مِنَ الْفِتَنِ(٢).

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: أَكْثِرْ ذكر الموت فإنّك لا تكون في ضيق من أمرك ومعيشتك فتذكر الموت إلّا اتّسع ذلك عليك، ولا تكون في سرور من أمرك وغبطة فتذكر الموت إلّا ضُيّق ذلك عليك(٣).

قال ابن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: من يزرع خيرًا يحصد غبطة، ومن يزرع شرًّا يحصد

---

(١) صحيح البخاري (٧١١٥).

(٢) "الفتن" لنعيم بن حماد (١/ ٧٦).

(٣) "الطبقات" الكبرىٰ لابن سعد (٧/ ٣٦٣).

ندامة، تفعلون السيئات وترجون أن تجزوا الحسنات، أجل، كما يجنىٰ من الشوك العنب![١]

(١) "العلل" رواية عبد الله (٢٦٦١).

غبطة عمر رضي الله عنه لأهل اليمن

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللهُ: «مَا غَبَطْنَا أَحَدًا عَلَىٰ تَعْزِيَةٍ مَا غَبَطْنَا أَهْلَ الْيَمَنِ، يَقُولُونَ عِنْدَ التَّعْزِيَةِ: لَا يَفْتِنْكُمُ اللهُ، وَلَا يَحْرِمْكُمْ، أَثَابَكُمُ اللهُ ثَوَابَ الصَّابِرِينَ، وَأَوْجَبَ لَكُمُ الصَّلَاةَ وَالرَّحْمَةَ»[(١)].

(١) طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها (٢/ ٥١) أبو الشيخ الأصبهاني (ت ٣٦٩)، "تاريخ أصبهان" و "أخبار أصبهان" (١/ ٢٨٢) أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠).

غبطة الصحابة لبعضهم

عن علقمة قال كنت جالسا مع حذيفة وأبي مسعود في بهو المسجد فجاء رجل فسألهما عن فريضة فنظر أحدهما إلىٰ صاحبه وسكتا فقلت إن شئتما أنبأتكما بما كان ابن مسعود يقول فيها فقالا نعم فأخبرنا فأخبرتهما فقالا ظننا أنها كذلك ولكن خفنا أن نكون نسينا وقال حذيفة إن فيكم رجالا يحفظون قول عبد الله فقلت نعم فكأنه غبطنا[١].

(١) "تاريخ دمشق" لابن عساكر (٤١/ ١٧٩).

خمسة غير مغتبطين

خمسة غير مغتبطين في خمسة أشياء، يتندمون عليها، الواهن المفرط إذا فاته العمل، والمنقطع من إخوانه، وصديقه إذا نابته النوائب، والمستمكن منه عدوه؛ لسوء رأيه إذا تذكر عجزه، والمفارق للزوجة الصالحة إذا ابتلي بالطالحة، والجريء علىٰ الذنوب إذا حضره الموت[١].

(١) "الأدب الصغير والأدب الكبير" (١/ ٤٤) "ابن المقفع" (ت ١٤٢).

كم من مُغْتَبط سَيبتَئِس

وخَطَبَ زِيَادٌ بِالْبَصْرَةِ، فَحَمَدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: كَمْ مِنْ مُغْتَبِطٍ سَيَبْتَئِسُ، وَكَمْ مِنْ مُبْتَئِسٍ بِنَا سَيَغْتَبِطُ(١).

قلت : وهذه سنة الله في خلقه أن الإنسان لا يدوم علىٰ حال فدوام الحال من المُحال الغني يفتقر والفقير يغتني والصحيح يمرض والمريض يصح وهكذا.

وبينما المرء في الأحياء مغتبط إذا هو الرمس تعفوه الأعاصير

(١) «الأخبار الموفقيات» للزبير بن بكار (١/ ١١٣) الزبير بن بكار (ت ٢٥٦).

غبطة الفاجر

قال ابن ابي الدنيا حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنِي مَرْوَانُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا، يَقُولُ: «خَذُلَ قَوْمٌ فَهُمْ مَسْرُورُونَ مُغْتَبِطُونَ، وَعُصِمَ آخَرُونَ فَهُمْ مَغْمُومُونَ مَحْزُونُونَ»(١).

قلت: ان الله سبحانه وتعالىٰ قد يفتح علىٰ الفاجر بفتوحات كثيرة ويغدق عليه بالمال والصحة وغير ذلك ليستدرجه حتىٰ اذا اخذه لم يفلته فعلىٰ العاقل اللبيب أن يكون حذرا وان لا يغتر بما عند الفجار من المال فان المال قد يعطاه الفاجر والمؤمن فهو للمؤمن كمال وللفاجر عذاب ووبال، الفاجر لا يغتبط ولا كرامة.

ومغتبط بعيشٍ غير باق ... يروم سلامةً تحت الهلاك

(١) "الهم والحزن لابن أبي الدنيا" (١/ ٦٥).

موعظة

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الدنيا ليست بدار قراركم، دار كتب الله عليها الفناء، وكتب علىٰ أهلها منها الظعن، فكم عامر مونق عما قليل يخرب، وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يحضركم من النقلة، وتزودوا فإن خير الزاد التقوىٰ، إنما كفيء ظلال قلص فذهب، بينما ابن آدم في الدنيا ينافس، وبها قرير عين قانع، إذ دعاه الله بقدره، ورماه بيوم حتفه، فسلبه آثاره ودنياه، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر، إنما تسر قليلًا، وتحزن حزنًا طويلًا(١).

قال أبو حازم رَحِمَهُ اللَّهُ: الدنيا غرت أقواما فعملوا فيها بغير الحق، فلما جاءهم الموت خلفوا مالهم لمن لا يحمدهم، وصاروا إلىٰ من لا يعذرهم. وقد خلفنا بعدهم، فينبغي لنا أن ننظر إلىٰ الذي كرهناه منهم فنجتنبه، وإلىٰ الذي غبطناهم به فنستعمله(٢).

قيل لابنة النعمان بن المنذر في أي شيء كانت لذة أبيك قالت في الشراب ومحادثة ذوي الألباب قيل فصفي لنا ما كنتم فيه قالت أطيل أم أوجز قيل أوجزي قالت أصبحنا والناس يغبطوننا فلم نمس حتىٰ رحمنا عدونا(٣).

---

(١) "ذم الدنيا" (١/ ١١٤) ابن أبي الدنيا، و"تاريخ دمشق" لابن عساكر (٤٥/ ١٧١).

(٢) "أدب الدنيا والدين"، للماوردي (ص: ١٥١).

(٣) بلاغات النساء (١/ ١٣٥) ابن طيفور (ت ٢٨٠).

متى يغبط الغابط ؟!

قال ابن رشد رَحِمَهُ اللَّهُ: وهو معلوم أَيضا فيما يغبط الغابطون ولمن يغبطون وبأَي أَحوال يكون الغابطون إِذ كانت الأَشياءُ التي عليها يغبط هي ضد الأَشياء التي بها يحزن وعليها يحسد وكان قد تقدمت لنا معرفة هذه الأَشياء، وكذلك الذي يَغْبِط هو ضد الذي يحسِد، والذي يُغبَط ضد الذي يحسد. ولذلك إِن كان الحسد هو اغتمام بخير يناله من يستحقه، فالغبطة هي فرح بخير يناله من يستحقه[(١)].

قلت: الإنسان يغبط الشخص علىٰ أعمال صالحة ومن الناس الذين يُغبطون:

١- الحافظ للقران العامل به الداعي اليه.

٢- الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

٣- المجاهد في سبيل الله بحق لإعلاء كلمة الله.

٤- العالم العامل بما علم الداعي الىٰ علمه.

٥- طلاب العلم المجتهدون المثابرون.

٦- القائمون الليل الصائمون النهار العابدون.

وغيرهم.

فلا يغبط الانسان الا علىٰ طاعة أو شيء مقرب الىٰ الله سبحانه وتعالىٰ فلا يغبط أهل الدنيا علىٰ دنياهم...الخ.

---

(١) "تلخيص الخطابة" (١/ ٧٨) ابن رشد الحفيد (ت ٥٩٥).

أبجوع الناس تغبطونني؟!

قال ابن رشد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وسمعت أن رجلا كان عنده طعام كثير فغلا الطعام فأتىٰ الناس يغبطونه بذلك قال أشهدكم أنه للناس بما أخذته فقال أبجوع الناس تغبطونني[١].

قلت: هكذا التجار الذين يهمهم مصلحة الناس عامة وليس عندهم جشع ولا طمع ولا فحش في الأرباح والله المستعان إن كثيرا من التجار اليوم يستغلون حاجة الناس ويحتكرون بعض البضاعات إلىٰ أن يأتي لها وقت تباع بأغلىٰ الأثمان.

---

(١) "تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر" (١/ ١٢٩) محمد بن العقباني (ت ٨٧١).

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر لي جمع هذه المادة المتواضعة وتقريبها لإخواني طلاب العلم، وهذا من فضل الله وحده لا شري وتوفيقه.

فنحن حقيقة في طلب العلم مكان يغبطنا بل يحسدنا عليه أهل الأهواء والفرق الضالة المنحرفة، وكيف لا! ونحن نقول: قال الله قال رسوله.

وأقـــول قـــال الله جـــل جلالـــه والمصـــطفىٰ الهـــادي ولا أتـــأولُ

قال الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فما أكثر العلماء في اليمن الذين يعرفون أننا علىٰ حق ويغبطوننا علىٰ ما نحن عليه[(١)].

كما نحمد الله أيضًا علىٰ نعمة السنة والتوحيد وطلب العلم، فنحن في خير لا يعلم به إلا الله، ولا يعرف قدر وفضل هذا الخير إلا من ابتعد عن دُور الحديث.

فدور الحديث عامرة بالدروس في شتىٰ الفنون، ومشايخها علىٰ مكانة عالية من العلم والزهد والتواضع بحمد الله رب العالمين.

كما أشكر الشيخ الوالد العلامة: عثمان السالمي علىٰ تشجيعه وتحفيزه الدائم لي ولأمثالي من طلاب العلم.

وأشكر شيخي المحدث: علي بن أحمد الرازحي، الذي تعلمت علىٰ يديه

---

(١) "تحفة المجيب علىٰ أسئلة الحاضر والغريب" (١/ ٢٤٧)، مقبل بن هادي الوادعي (ت:١٤٢٢).

البحث العلمي، وكان يعلمنا بصبر وجلد وحكمه، فجزاه الله عنا خير الجزاء، كما أنه يشجعني ويحثني عبر الاتصال علىٰ الاستمرار في البحوث العلمية، فبارك الله في كل مشايخنا، وحفظ الله دور الحديث السلفية وطلابها، والله المستعان.

كتبه الفقير إلىٰ الله:

موسى بن ثابت بن محمد بن علي المطري

المملكة العربية السعودية - جدة

١٦/ ٧/ ١٤٤٦ جمادىٰ الآخرة

فهرس